العلاقة بين لغة الأمِّ واللُّغة المكتسبة

د. عبد العزيز عبد الله إسحق (*)

مقدمة :

اللُّغة ظاهرة اجتماعيَّة، وهي خاصيَّة أكرم الله بها الإنسان ، وميَّزه بها عن الحيوان. ورغم اختراع وسائل التَّواصل ؛ إلاَّ أنَّه يبقى للُّغة دورها العظيم. يولد الطِّفل لأبوين ينتميان لمجتمع معين، وبواسطة الأبوين يكتسب الطِّفل لغة هذا المجتمع. وقد يستمع الطِّفل للُّغة أو أكثر؛ فيكتسبهما فيصير ثنائيَّ اللُّغة أو متعدِّد اللُّغات.

يريد الباحث في هذا البحث دراسة العلاقة بين لغة الأمِّ وبين لغة أخرى يكتسبها الطِّفل أو يتعلمها. وقد تحدث هاتان العمليَّتان(الاكتساب والتَّعلُّم) متزامنتين أو غير متزامنتين.

سيقف الباحث على الفرق بين العمليَّتين، ويعرض النَّظريات الَّتي تفسرهما وسيبيِّن بالتَّفصيل صور العلاقة بين لغة الأمِّ واللُّغة الثَّانية.

اشتمل البحث على ستَّة مباحث، بالإضافة إلى الأساسيات الَّتي تتكون من عناصر الخطة. والخاتمة الَّتي تحتوي على أهم النَّتائج والتَّوصيات.

(*) رئيس قسم اللغة العربية للناطقين بغيرها بجامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية ، رئيس قسم اللغة العربية للناطقين بغيرها .

مشكلة البحث:

العلاقة بين لغة الأمِّ واللُّغة الثَّانية تحتاج توضيحًا؛ من حيث: كيفيَّة الاكتساب والعوامل المساعدة على الاكتساب ومراحل التعلُّم ، والتَّداخل بين اللُّغتين ، والمشكلات النَّاتجة عن التَّداخل بينهما .

أهداف البحث:

١- الوصول إلى رؤية واضحة، في الفرق بين عمليَّتي التَّعلُّم والاكتساب.

٢- تحديد الفروق بين لغة الأمِّ واللُّغة الثَّانية، في طرق الاكتساب اللُّغويِّ وإستراتيجياته.

٣- تحديد العوامل المساعدة على الاكتساب والتَّعلُّم في اللُّغتين.

٤- تحديد صور العلاقة بين لغة الأمِّ واللُّغة الثَّانية ؛ من حيث: النَّظريات الَّتي تفسر تعلمهما، والخصائص المشتركة بينهما، والتَّأثير والتَّأثر بينهما (التَّداخل).

٥- الإسهام في حل مشكلات النَّاطقين بأكثر من لغة، في مناطق التَّداخل اللُّغويِّ.

فروض البحث وأسئلته:

١- ما الفرق بين التَّعلُّم ، والاكتساب؟

٢- هناك عوامل مساعدة على اكتساب لغة الأمِّ ، فهل تختلف تلك العوامل عن العوامل المساعدة في تعلُّم اللُّغة الثَّانية ؟

٣- يكتسب الطِّفل لغة الأمِّ في مراحل ؛ فهل تعلُّم لغةٍ ثانيةٍ يمرُّ بالمراحل نفسها؟

٤- ما مدى التَّأثير والتَّأثر(التَّداخل) بين لغة الأمِّ واللُّغة الثَّانية ؟

٥- توجد صعوبات تعوق تعلُّم لغة ثانية، ما مدى تأثيرها؟

منهج البحث:

استخدم الباحث المنهج الوصفيَّ التَّحليليَّ، مترافقًا مع أسلوب المقارنة بين عمليَّتين لغويَّتين (الاكتساب والتَّعلُّم)، في نظاميين لغويَّين مختلفين (لغة الأمِّ واللُّغة الثَّانية).

هيكل البحث

انتظم البحث في ستَّة مباحث : في المبحث الأول تحدث الباحث عن الفرق بين عمليَّتي"الاكتساب والتَّعليم" وعَرَضَ النَّظريات الَّتي تُفسِّر اكتساب لغة الأمِّ، وذكر المراحل والعوامل المساعدة على اكتسابها. وفي المبحثين الثَّاني والثَّالث تناول الحديث عن اللُّغة الثَّانية ، من حيث : نظريات تعلُّمها ، ومراحل التَّعلُّم والَّتي تختلف قطعًا عن مراحل اكتساب لغة الأمِّ، وكذلك العوامل المساعدة على تعلُّمها. وفي المبحث الرَّابع وقف الباحث على الفروق بين اللُّغة الأمِّ واللُّغة الثَّانية . وفي المبحث الخامس وَقَفَ على العوامل المشتركة بينهما. وفي المبحث السَّادس تحدث عن عوامل التَّأثير والتَّأثر بين اللُّغتين، وبه اكتملت صور العلاقة بين اللُّغتين وتبلورت الرُّؤية وأخيرًا ختم البحث بأهمِّ النَّتائج والتَّوصيات.

مصطلحات البحث:

- لغة الأمِّ : هي اللُّغة الأصليَّة الَّتي يكتسبها الطِّفل في الوسط الاجتماعيِّ الَّذي ينشأ فيه.
- اللُّغة الثَّانية: ويُقصد بها اللُّغة الَّتي يتعلَّمها الفرد طفلاً كان أم بالغًا بعد

تعلُّمه للُّغة الأولى.

- الازدواجيَّة اللُّغويَّة: ويُقصد بها أن يجيد الفرد لغتين معًا إجادة تامَّة.

المبحث الأوَّل

نظريات اكتساب لغة الأمِّ

أولاً- تعريف اللُّغة:

وجد الدَّارسون في تعريف اللُّغة تعريفًا دقيقًا بعض المشقَّة والعنت، رغم سهولتها وجريانها على الألسن، وانقسموا بهذا الصَّدد، إلى فرق وطوائف[1]. وفيما يلي نعرض تعاريف مختلفة، يمثل كل تعريف فهم صاحبه، ومنهجه في ملاحظة هذه الظَّاهرة وإدراك طبيعتها. ولا بد أن نلقي بعض الملاحظات على هذه التَّعريفات لندرك جوهر كل تعريف.

تعرِّفُ الموسوعة الفرنسيَّة اللُّغة بأنَّها "علامات مركَّبة، تولِّد في الشُّعور إحساسات متباينة ، إما مستثارة مباشرة ، أو مُخَمَّنة عن طريق الارتباط"[2] ويُبرِزُ جوهر هذا التَّعريف الطَّبيعة التَّركيبيَّة للُّغة، على أساس العلاقات الرَّمزية المتَّفق عليها وقد ترابطت في هيئة تراكيب، ويلحظ من تعريف الموسوعة خلوه من الإشارة للكلام والقيم الصَّوتيَّة فيه وذلك يدلُّ على نظرة واسعة للُّغة تضم لغة الصَّوت

---

(1) إبراهيم أنيس، اللُّغة بين القوميَّة والعالميَّة، دار المعارف المصريَّة، ١٩٧٠م ص:١١.

(2) أحمد حسن أبو عرقوب. تطور لغة الطِّفل، عمَّان، ١٩٩٠م، ص٦

ولغة الإشارة.

ويعرِّف "جون دِيوي" الفيلسوف الاجتماعيُّ اللُّغة؛ فيراها "وسيلة اتِّصال بين أفراد جماعة، تؤلِّف بينهم على صعيدٍ واحدٍ" ومنحى جون ديوي أنَّ القيمة النَّفعيَّة للُّغة، تقع في بؤرة الاهتمام ؛ في وسيلة الاتِّصال ، وغايتها التَّأليف بين أهلها على صعيد المصلحة العامَّة.

وفيلسوف آخر "ماكس موللر" ، يعرِّف اللُّغة، بأنَّها (رموز صوتيَّة مقطعيَّة، يعبِّر بمقتضاها عن الفكر) . تعريفه قائم على التَّمييز بين لغة الحيوان ولغة البشر الَّتي تختلف عن الأصوات الحيوانيَّة بأنَّها تقوم على الصَّوت المركب. ويلحظ ماكس النَّاحية النَّفسيَّة للُّغة، بأنَّها تعبِّر عن الفكر.

ويعرِّف "موريس" اللُّغة بأنَّها : (مجموعة علامات ذات دلالة جمعيَّة مشتركة يمكن النُّطق بها من كل أفراد المجتمع، وذات ثبات نسبيٍّ في كل موقف تظهر فيه، ويكون لها نظام محدَّد تتألف بموجبه حسب أصول معيَّنة، وذلك لتركيب علامات أكثر تعقيدًا) [١] ويمتاز تعريف موريس بجوانبه الفلسفيَّة والاجتماعيَّة والبنائيَّة ويؤكد على نظاميَّة اللُّغة واصطلاحها ويحدد وظيفتها الاجتماعيَّة والنفسيَّة.

ويعرِّف إبراهيم أنيس اللُّغة بأنَّها:" نظام عرفيٌّ لرموز صوتيَّة يستغلها النَّاس في الاتِّصال بعضهم ببعض"[٢] : وفي هذا التَّعريف يلتقي مع كل من موريس وجون

([1]) المصدر السَّابق ص:٧-٨.

([2]) إبراهيم أنيس، اللُّغة بين القوميَّة والعالميَّة، ص١١.

ديوي، وكلُّهم يلتقون مع العبقريِّ الفذِّ ابن جنِّي في قوله : "اللُّغة أصوات يعبر بها كلُّ قوم عن أغراضهم"[١].

وبمراجعة التَّعريفات السَّابقة نجد أنَّ تعريف ماكس موللر، هو الأدقُّ والأكثر دلالة على الجانب النَّفسيِّ للُّغة، ممَّا يتفق وطبيعة هذا البحث الَّذي نحن بصدده، حيث ندرس الظَّاهرة اللُّغوية على أساس الاكتساب والتَّعلم، من أجل التَّعبير عن النَّفس وتلبية لحاجتها ونوازعها.

ثانيًا- تعلم اللُّغة واكتسابها:

لتناول العلاقة بين اللُّغة الأمِّ واللُّغة المكتسبة أو الثَّانية بالدِّراسة العلميَّة، يتطلب الأمر التَّطرق إلى مفهومي: التَّعلم والاكتساب ، مع الإشارة إلى آراء مدارس الفكر اللُّغويِّ ونظرياته حول المفهومَين؛ لأنَّ التَّفريق بين المفهومَين يبدو مهمًا لفهم العلاقة بين اللُّغتين موضوع البحث. فالتَّعلم في مفهومه العام يعرف بأنَّه:"حصول المعرفة في مادة أو مهارة بواسطة الدِّراسة أو الخبرة أو التَّدريس أي هو تغيير دائم في السُّلوك نتيجة للممارسة المعزّزة." [٢]

إنّ تعلم اللُّغة يرجع إلى إعمال الفرضيَّات والتَّحقق منها، ومن ثَمَّ يحدث استبطان لأنماط اللُّغة بواسطة الملاحظة حتى يتمَّ الوصول إلى النَّمط اللُّغويِّ، ويتطلب أيضًا تزويد الدَّارسين بالمبادئ التَّعليميِّة في حين أنَّ "الاكتساب" يعود إلى استبطان

([1]) ابن جنِّي ، الخصائص ج١ ، ص٣٣ .

(2) محمد إسماعيل ظافر ويوسف الحماديّ، التَّدريس في اللُّغة العربيَّة، دار المريخ للنَّشر ،١٩٨٤م، الرِّياض ص:٤٩.

اللُّغة من خلال التَّمثيل اللُّغويِّ اللاشعوريِّ نتيجةً للتَّعرض للُّغة.

لقد ارتبطت نظريات تعلم اللُّغة الهدف (الثَّانية) بنظريات اكتساب اللُّغة الأمِّ الَّتي اعتمدت على الحقائق الفطريَّة عند المتعلم، كما ركز بعضها على الدَّور الأساس للبيئة في تشكيل المتعلم، ولا يزال بعض منها يحاول الرَّبط بين خصائص المتعلِّم وعوامل البيئة في شرح عملية الاكتساب.

تركت فرضيَّة التَّعلم والاكتساب جدلاً واسعًا، والمقدِّمة الأساس الَّتي تقوم عليها هذه الفرضيَّة هي أنَّ التَّعلم (Learning) من ناحيةٍ ، والاكتساب (aquisition) من ناحية أخرى يعدان عمليَّتين منفصلتين؛ فالاكتساب يشير إلى عمليَّة لا شعوريَّة تماثل عمليَّة تعلُّم اللُّغة الأولى لدى الأطفال في كافة النَّواحي الجوهريَّة . بينما يشير التَّعلم إلى العمليَّة الواعية الَّتي ينتج عنها معرفة حول اللُّغة . أي أن الاكتساب ينتج عن التَّفاعل الطَّبعيِّ مع اللُّغة من خلال استخدامها في مواقف اتِّصاليَّة واقعيَّة تؤدي إلى عمليات نمو شبيهة بتعلم اللُّغة الأولى . أمَّا "التَّعلم" فإنَّه ينتج عن الخبرات الصَّفيَّة الَّتي يركز المتعلم أثناءها على الصِّيغ ويكوِّن معرفة عن القواعد اللُّغوية للُّغة الهدف.

ثالثًا- نظريات لغة الأمِّ:

هنالك اتِّجاهان رئيسان يفسران اكتساب اللُّغة الأولى: الاتِّجاه الأوَّل، وهو اتِّجاه الخبرة ، الَّذي يرى أنّ التَّعلم هو تطبيق للمبادئ العامَّة، بالتَّرابط والتَّماثل للمثيرات المدخلة المؤطرة. والاتِّجاه الثَّاني: هو اتِّجاه الفطرة وأصحابه يرون أنَّ

الكائن الحيَّ يبدأ بأبنية داخليَّة معقدة والَّتي تشابكت في التَّفاعل الموجَّه إلى العالم الخارجيِّ.

أ- بين أهل الخبرة وأهل الفطرة :

يعرف "سلوبن" مذهب الخبرة تعريفًا مركزًا: بأنَّه المذهب الَّذي تكون المعرفة فيه محصَّلة بالحواس غير أنَّ العقل يشرع بعد ذلك في الرَّبط بين المعارف المختلفة ؛ لاستخراج العلاقة ، فالرَّبط بين العلَّة والمعلول لا يتمُّ إلاَّ بالعقل . وحتى الَّذين يرفضون مبدأ العلَّة ، ويأخذون بمبدأ الاقتران أو التَّجاور ؛ فإنَّ مبدأ الاقتران لم يدرك إلاَّ بالعقل ، فالمعرفة حسِّيَّة وعقليَّة. (١)

تُرجع التَّصورات السُّلوكيَّة عمليات الاكتساب اللُّغويِّ إلى الخبرة والمحاكاة، والتَّدعيم، حيث يختزل دور الخبرات بالبيئة في الآلية العلِّيَّة للمثير وردِّ الفعل ، ويمثل تصوُّر التَّدعيم الشَّكل السُّلوكيَّ للقيام بعمليَّة التَّأثير البيئيِّ. وبهذه الطَّريقة يفهم الاكتساب اللُّغويُّ بأنَّه تعلُّم سلوك وفق أنموذج المثير وردِّ الفعل ، ويتعلم الطِّفل لغته بمحاكاة منطوقات سمعها من قبل وفي الشَّكل البالغ التَّطرف للسُّلوكيَّة وعند زعيمها سكنر تستبعد كل خصائص الوعي وتنقل نتائج علم نفس الحيوان إلى السُّلوك الإنسانيِّ. (٢)

---

(1) نعوم تشومسكي ، معرفة اللُّغة ، ترجمة محيي حميد ،دار الزَّهراء ، ٢٠٠٢م،د٨٧.

(2) جرهارد هلبش ، تطور علم اللُّغة ، ترجمة سعيد حسن بحيري ، مكتبة زهرة الشَّرق ،ط أولى ٢٠٠٧م ،ص:٤٣٨،٤٣٧

رَأْيُ سكنر في اكتساب اللُّغة : اللُّغة لا تعدو أن تكون عادة اجتماعيَّة مثلها في ذلك مثل سائر العادات الاجتماعيَّة الأخرى ، وأنَّ اكتسابها يتمُّ بالطَّريقة ذاتها أي من خلال المحاولة والخطأ. ورأى أيضًا أنَّ اللُّغة مجموعة من العادات الظَّاهرية الَّتي تتكون لدى الإنسان نتيجة للاستجابات المتواصلة للمؤثرات الخارجيَّة ، دونما حاجة إلى جهاز فطريٍّ أو عقليٍّ خاص يعين على ذلك ، ورأى إمكان التَّنبؤ بالسُّلوك اللُّغويِّ للفرد من دراسة المؤثرات الخارجيَّة الَّتي تحيط به. (١)

أمَّا مذهب الفطرة فيرى عكس ذلك : وهو أنَّنا نحصل على معارفنا من العقل المفطور فينا وليس من الحسِّ. التَّصور الفطريُّ قائم بادئ الأمر على أساس نقد "نعوم تشومسكي" لكتاب "السُّلوك اللُّغويِّ " لسكنر. ويُعدُّ تشومسكي أقوى المدافعين عن مذهب الفطرة، حيث يُعَدُّ كثير من الفطريِّين المعاصرين من أتباعه .

إنَّ الإنسان يبدأ حياته اللُّغوية مزودًا بأبنية داخليَّة معقَّدة (جينات) حيث اكتسب هذا التَّعقيد من الالتحام بالعالم الخارجيِّ. والتَّساؤل الَّذي أسَّس لمذهب الفطرة هو: كيف يتعلَّم الأطفال اللُّغة في سنِّ الخامسة بأن ينطقوا مئات من الجمل لم يسمعوا بها من قبل؟ فتوصل اللُّغويون العقلانيُّون إلى الاعتقاد بأنَّ الأطفال يأتون وهم مجهزون بخطط عرفانيَّة، تمكنهم من أن يفهموا ويكوِّنوا قواعد للشَّفرة. (٢) ويرى "سلوبن" أنَّ أصحاب هذا المذهب يمكن أن نطلق عليهم: الفطريِّين أو التفاعليِّين

---

(1) المصدر نفسه ص:٤٣٨.

(2) جلال شمس الدِّين، علم النَّفس اللُّغويُّ مناهجه ونظريَّاته وقضاياه، ج١، مؤسسة الثَّقافة الجامعيَّة مصر، ص:١٠٢.

أو البنيويِّين . أمَّا الأدلَّة على وجود مبادئ فطريَّة فإنَّها غير متاحة حاليًّا. [١] ويرى الباحث أنَّ الدَّليل واضح ومأخوذ من أهم مصادر المعرفة، وهو النَّقل المتمثل في القرآن الكريم ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤﴾ [٢] والبيان هنا هو النُّطق، وكل آدميٍّ مفطور على النُّطق.

ومن النَّقد الَّذي وجِّه لأهل الخبرة ، التَّدعيم: وهو الأساس السَّيكولوجيُّ للاشتراط ، يقول سلوبن: "دعنا نتخيَّل موقفًا للتَّدعيم لا يمكن حدوثه ولكنَّه مفترضٌ نظريًّا، فكل مرَّة ينطق الطِّفل جملة نحويَّة فإنَّه يتلقى تدعيمًا موجبًا، وفي كل جملة غير نحويَّة فإنَّه يتلقى تدعيمًا سالباً، فهل يمكن لجدول التَّدعيم هذا أن ينتج كلامًا نحويًّا؟ ذلك ممكن ولكن لن يفيد شيئًا عن العمليَّة الَّتي توصَّلَ الطِّفل بها إلى الأفكار النَّحويَّة التَّحتسطحيَّة الَّتي تجعل الأداء الصَّحيح ممكنًا". [٣]

والحقيقة أنَّ التَّدعيم يمكن أن يخبر الطِّفل، أنَّ جملة ما هي صواب بطريقة شاملة أو غير صواب. وحتى لو قام الطِّفل ببعض التَّعميمات الخاطئة فإنَّه يجد من يصححُّ له، ولو لم يجد من يصححُّ له الأخطاء سوف يدرك في وقتٍ لاحق، أنَّ هذا النُّطق بالذَّات غير صحيح وإنَّما يُستخدَم بطريقة أخرى فيتبعها عن طريق المحاكاة. وحتى المحاكاة وهي فكرة خبريَّة، لم تسلم من النَّقد أيضًا ، فنظريَّة المحاكاة تفترض أنَّ

([1])المصدر نفسه ص:١١٠.

([2])سورة الرَّحمن الآيات:١-٤.

([3])جلال شمس الدِّين، علم النَّفس اللُّغويُّ، ج١، ص:١٠٤.

الطِّفل يكتسب الصِّيغ اللُّغوية الجديدة من كلام والديه أثناء محاكاته لهما. ولكنَّها لا تفسِّر الصِّيغ الخاطئة الَّتي ينطقها الطِّفل. والفطريُّون أنفسهم لم يعلِّلوا لماذا نطق الطِّفل هذا النُّطق الخاطئ أصلاً، طالما أنَّ اللُّغة مفطورة فيه؟ إنَّه لمن الخطأ أن ننسب اكتساب اللُّغة لعامل واحد فقط . ولكنَّ هذه العوامل جميعًا تشترك في اكتساب اللُّغة، وأهمُّ عامل هو ما يقوم به المتلقي نفسه من اكتساب نظام النُّطق، وعن طريقه يمكن أن يقدم نطقًا جديدًا .

هذه أهمُّ ملامح النَّظريات الرئيسة في اكتساب لغة الأمِّ (الأهل) [1] غير أنَّ هنالك فروضًا فرعيَّة يسند بها كل فريق دعواه.

١- فرضيَّة القواعد النَّظميَّة:

في كثير من الأحيان يفرض الطِّفل بعض القواعد على النُّطق؛ ممَّا يجعلها تختلف عن نطق الكبار، ولقد علَّل الفطريُّون ذلك بوجود "قواعد نظميَّة عميقة" عند الطِّفل تعمل من أجل تسهيل النُّطق. وعِلَّة الاستسهال هذه قديمة قال بها نُحَاةُ العرب القدامى: الخليل، وسيبويه، وابن جنِّي . وهي عِلَّة خبريَّة ؛ وهنا يتدخل الاشتراط الكلاسيكيُّ ليحل هذه المشكلة على أساس أنَّ الاستسهال سلوك آليٌّ. ولكنَّ المشكلة في تلك القواعد النَّظميَّة العميقة عند الطِّفل الَّتي يصعب دراستها فيزيقيًّا. [2]

([1]) جلال شمس الدِّين ، علم اللُّغة النَّفسيُّ ، مناهجه ونظرياته وقضاياه ، ج١، ص:١٠٦.

([2]) المصدر نفسه ص:١٠٦.

٢- فرضيَّة رضاء الذَّات لتعلُّم لغة الأهل: The theory of native) langue learning)

وجد "ماورر" وهو من السُّلوكيِّين: أنَّ العاطفة قد تؤدي دورًا أساسًا في اكتساب لغة الأمِّ؛ فلقد اعتقد أنَّ الطِّفل يشعر بدفء عاطفيٍّ تجاه أمِّه الَّتي يسمع منها الكلمات لأوَّل مرَّة، وهو عندئذٍ يكرر مرارًا ما يسمعه ؛ لأنَّ الكلمات تعيد أمامه الحضور لشخص محبوب، وهذا يعطي تدعيمًا موظِفًا للسُّلوك اللُّغويِّ. ولقد وُجِد أنَّ الكلمات المتعلَّمة بهذا الطَّريق مؤثرة تأثيرًا نفعيًّا لتزويد الطِّفل بما يريده؛ مما يزوِّده بتدعيم أوَّليٍّ فتصبح بذلك جزءًا مستقرًا من مكتسباته. (١)

يتضح أن فرضيَّة رضاء الذَّات هي خبريَّة ، وقد اعتمدت على عناصر يمكن التَّأكد منها في الواقع، فيما عدا قولهم: أنَّ الطِّفل يكرِّر مرارًا ما قد يسمعه لأنَّ الكلمات تعيد أمامه الحضور لشخص محبوب؛ فهذا لا يمكن التَّأكد منه وهو فرض عقليٌّ بحت. (٢)

٣- فرضيَّة جهاز اكتساب اللُّغة : (Language Acquisition Device)

وهي إحدى فرضيَّات مذهب أهل الفطرة ؛ إذ يعتقدون أنَّ كلَّ مرحلة من مراحل اكتساب اللُّغة عند الأطفال تمتاز بالتَّشابه والتَّماثل في النُّطق والتَّركيب، بغض النَّظر عن العوامل الثَّقافيَّة والاجتماعيَّة والبيئيَّة الَّتي يتدربون فيها. هذا ما

---

(1) المصدر نفسه ص:١٠٨.

(2) المصدر نفسه ،ص:١٠٧.

أغرى بعضهم ، لأن يروا في ذلك دليلاً كافيًا على أن جميع الأطفال يولدون مزوَّدين بجهاز لاكتساب اللُّغة، يحتوى على المعرفة الوراثيَّة، والَّتي يسمِّيها تشومسكي "المنطقة الصوريَّة" أو الأصول الكلِّيَّة الثَّابتة.

والواقع أنَّه لا يوجد جهاز حيوي في البشر ، وإنَّما يولد الطِّفل مزودًا بنظام محدَّد من الإجراءات لحل بعض المشكلات كالذَّاكرة. يبدأ هذا النِّظام في نشاطه ، ويفسِّر ذلك في إطار من نمو القدرات التَّرابطية العاملة للطِّفل. (١)

من العرض الموجز للنَّظريَّات والفرضيَّات عن اكتساب اللُّغة الأمِّ، نستنتج أنَّ عملية اكتساب اللُّغة معقَّدة ، ولا يمكن لفرضيَّة واحدة أن تفسِّر لنا هذه العمليَّة وبناءً عليه فإنَّ التَّقليد والمحاكاة ، والتَّعزيز ، والاستعداد الفطريَّ جميعها لا غنًى عنها، وكلها تتكامل. (٢) لتجيب عن سؤال جوهريٍّ هو: كيف يكتسب الطِّفل اللُّغة ؟

رابعًا- السِّمات الرئيسة لمراحل اكتساب لغة الأمِّ:

يولد الطِّفل ولديه الاستعداد الفطريُّ لتعلُّم أيَّة لغة يتعرض لها. ويمرُّ النُّموُّ اللُّغويُّ بمراحل تتناسب ونموَّ الطِّفل ويمكن عرضها هنا من غير تفصيل ؛ وهي:

١- مرحلة الأصوات الأولى: وهي أصوات انفعاليَّة، استجابةً لمؤثرات يحسُّ بها الطِّفل، وتحدث هذه الأصوات عندما يولد الطِّفل.

٢- مرحلة المناغاة: عندما يبلغ الطِّفل الشَّهر الرَّابع أو الخامس من عُمُره يبدأ

---

(1) نقوم تشوسكي ،معرفة اللُّغة ،ترجمة محيي الدِّين عبدي، ص:٣٩٧.

(2) محمَّد عليّ الخولي، مدخل إلى علم اللُّغة، دار الفلاح للنَّشر والتَّوزيع ،ط١ ٢٠٠٠م،ص:٢٠٣.

بالمناغاة، وهي أصوات متنوِّعة بعضها لغويٌّ وبعضها غير لغويٍّ.

٣- مرحلة الكلمات الأولى: في بداية السَّنة الثَّانية من العمر ، يبدأ الطِّفل بإصدار الكلمات الأولى، وفيها تظهر الكلمة الَّتي تمثِّل جملة.

٤- مرحلة الجملة: عندما يبلغ الطِّفل عامين يبدأ بتكوين الجملة ذات الكلمتين، ثم يطوِّرها إلى جملة مركَّبة. ويجدر بنا أن نذكر الملامح الرئيسة الَّتي يتميز بها النُّمو اللُّغويُّ لدى الأطفال، دون الخوض في المراحل التَّفصيليَّة لعملية الاكتساب اللُّغويِّ.

١- يمرُّ الأطفال بمراحل أثناء الاكتساب اللُّغويِّ.

٢- تتشابه هذه المراحل كثيرًا لدى جميع الأطفال في اللُّغة الواحدة.

٣- تتشابه هذه المراحل في جميع اللُّغات.

٤- لغة الطِّفل مبنيَّة على قواعد وما يبتكره الطِّفل لا يتماثل بالضَّرورة مع ما يستخدمه الرَّاشدون.

خامسًا- العوامل المؤثرة في اكتساب لغة الأمِّ:

هناك عدَّة عوامل تؤثر في اكتساب الطِّفل للُّغة الأولى، أهمُّها:

١- السِّن: كلُّ مرحلة من مراحل العمر لها خصائصها وتوقُّعاتها ، وبالطَّبع يختلف النُّمو اللُّغويُّ من طفل لآخر، ولكنَّ الاختلاف يبقى ضمن مدًى معروف.

٢- الدِّماغ: يشترط في اكتساب اللُّغة سلامة الدِّماغ من الأمراض ، فقد يعجز الطِّفل عن الكلام إذا أصيب دِماغه بتلفٍ.

٣- البيئة اللُّغويَّة: يشترط تعرض الطِّفل لبيئة لغويَّة يسمع فيها اللُّغة.

٤- السَّمع: يشترط أن تكون حاسَّة السَّمع لدى الطِّفل سليمة لأنَّ السَّمع عامل أساس.

٥- الجنس: دلَّت البحوث على أنَّ الإناث أسرع في اكتساب اللُّغة من الذُّكور إذ يتمُّ الاكتساب لديهنَّ في سنٍّ أبكر.

٦- الصِّحَّة البدنيَّة: الطِّفل صحيح الجسم أسرع في اكتساب اللُّغة من الطِّفل عليل الجسم.

٧- الثُّنائيَّة اللُّغويَّة: تعرُّض الطِّفل لأكثر من لغة في وقتٍ واحد وفي وقت مبكر من حياته قد يربكه ويؤخِّر نموَّه اللُّغويَّ في اللُّغتين.

المبحث الثَّاني
نظريَّات تعلُّم لغة ثانية

أولاً- يجدر بنا أن نجيب عن سؤال أساس: من هو متعلِّم اللُّغة الثَّانية؟

تتناول أبحاث اللُّغة الثَّانية بشكل عام المتعلِّمين الَّذين يشرعون في تعلم لغة إضافيَّة بعد مضي عدد من السَّنوات على الأقل على بداية اكتسابهم للُّغة الأولى، وهو موضوعنا في هذه الورقة البحثية . وقد يتمُّ هذا التَّعلُّم في إطار منهجيٍّ في فصول دراسيَّة، وقد يحدث من خلال الاتِّصال الاجتماعيِّ غير الرَّسميِّ ؛ كأن يتمُّ من خلال العمل أو الهجرة أو القنوات الاجتماعيَّة الأخرى الَّتي من شأنها أن تفسح مجال الاحتكاك بين النَّاطقين بلغات مختلفة، وتجعل الاتِّصال بينهم ضرورة.

إذًا متعلِّم اللُّغة الثَّانية قد يكون طفلاً ، أو راشدًا ، وقد يكون تعلُّمه للُّغة هدفًا رسميًّا، وقد يتعلَّم لغة محليَّة، وقد تكون اللُّغة الهدف ذات انتشار واسع وذات علاقة بمنطقة المتعلِّم ممَّا يتيح له الاتِّصال بالتَّطور الاقتصاديِّ والحياة العامَّة[١].

وفي حالة اللُّغة العربيَّة مثلاً ، فإنَّها واسعة الانتشار والاستخدام في أوساط المسلمين بل هي لغة مقدَّسة لما لها من ارتباط بالقرآن الكريم، والسُّنة النَّبويَّة والعبادات وما إلى ذلك.

ثانيًا-وفيما يلي نعرض بإيجاز فرضيَّات اكتساب اللُّغة الثَّانية،والَّتي بموجبها يصبح الفرد ثنائيَّ اللُّغة (bilingualism) أي أن يجيد لغتين معًا إجادة تامَّة، لغة الأمِّ (الأهل) ولغة أخرى،وقد يكتسبهما معًا ، وقد يكتسب لغة الأمِّ أولاً. [٢]

١- فرضيَّة التَّحليل الخلافيِّ:

هي طريقة للتَّحليل اللُّغويِّ تبيِّن أوجه الشَّبه، وأوجه الاختلاف بين لغتين أو لهجتين أو أكثر؛ بهدف إيجاد الأسس الَّتي يمكن تطبيقها على المشكلات العمليَّة في تدريس اللُّغات والتَّرجمة[٣] . أمَّا السَّبب في وجود هذا التَّحليل ؛فإنَّه عند تعلُّم لغة ثانية ،فإنَّ المتعلِّم تواجهه عقبات عديدة ، منها عدم القدرة على تقليد كافَّة أصوات اللُّغة الثَّانية، وكذا نقل خبراته باللُّغة الأولى إلى الثَّانية ممَّا يؤدي إلى وجود ظاهرة

([1]) روز موند ميشيل ، نظريَّات تعلُّم اللُّغة الثَّانية ، ترجمة عيسى بن عودة.

([2]) محمد علي الخولي، المدخل إلى علم اللغة،ص:١٩٣-١٩٦.

([3]) المصدر السَّابق ،ص:١٠٩-١١٢.

النَّقل والتَّداخل من اللُّغة الأولى إلى الثَّانية.

٢- فرضيَّة التَّمييز:

وضَّح "أفستاي" نظرية التَّمييز، ومفادها :أنَّه كلَّما كان العنصر اللُّغويُّ أقلَّ تمييزًا كان أسهل في اكتسابه سواء في معطيات الطِّفل أو معطيات اللُّغة الثَّانية. وكلَّما كان أكثر طبعية (أسهل في مجهود النُّطق) كانت صيغته أكثر تعادلاً.

وعكس ذلك: كلَّما كان العنصر الصَّوتي أكثر تميُّزًا كان أصعب في اكتسابه بصفة عامَّة سواء في اللُّغة الأولى أو الثَّانية . والمقصود بالأصوات المتميِّزة هي الأصوات الصَّعبة، والأقلُّ تميُّزًا هي الأسهل في الاكتساب.

٣- فرضيَّة التَّمييز التَّفاضليِّ:

جمعت هذه النَّظريَّة بين الفرضيَّتين السَّابقتين ، ولقد اعتقد "إكمان Ekman" أنَّ مشكلات تعلُّم اللُّغة الثَّانية يمكن التَّنبُّؤ بها بمقارنة اللُّغتين ولكنَّ:

١- العناصر اللُّغويَّة في اللُّغة المستهدفة (الثَّانية) والَّتي تختلف عن لغة الأمِّ، والَّتي تكون أكثر تميُّزًا عنها سوف تكون صعبة.

٢- درجة الصُّعوبة النِّسبيَّة للمسلحات باللُّغة المستهدفة، والَّتي تكون أكثر تميُّزًا من لغة الأمِّ سوف تناظر الدَّرجة النِّسبيَّة في التَّمييز.

٣- العناصر اللُّغويَّة في اللُّغة المستهدفة، والَّتي ليست شديدة التَّمييز عن لغة الأمِّ لن تكون صعبة.

٤- فرضيَّة تعلُّم اللُّغة بالسَّماع : (Audio-lingual method)

هدفُ طريقة تعلُّم اللُّغة بالسَّماع هو التَّواصل، بحيث يصبح متعلِّم اللُّغة

الأجنبيَّة قادرًا على فهمها كما تقال له من أصحابها، كما يصبح قادرًا على التَّكلُّم بها في المواقف اليوميَّة بطلاقة وصحَّة مقبولين، كما أنَّه يستطيع أن يتواصل كتابة لأيِّ شيء يمكنه أن يقوله. وأهمُّ سمات منهج التَّدريس لهذه الطَّريقة هو، أن تقدِّم مواد الدِّراسة الصَّيغة المنطوقة قبل المكتوبة أمَّا الكتابة فتأتي في المرحلة التَّالية.

٥- فرضيَّة العنصر الحاسم والمشُعْر المُعِين: [١]

هو عبارة عن عنصر لغويٍّ يتركب عليه التَّركيب النَّحويُّ لباقي العناصر وهو يشبه في النَّحو العربيِّ فكرة "العامل". ومهمته التَّنبيه على ضرورة وجود عناصر لُغويَّة أخرى مُعينة أو تراكيب معيَّنة. فالمشعر هو عنصر ما قد يكون لغويًّا مثل صوت لغويٍّ أو كلمة وقد يكون غير لغويٍّ بحيث يكون ممهدًا أو مؤشرًا لظهور عنصر لغويٍّ آخر. وعليه تعتبر المشعرات كأنَّها مثيرات. وهناك المشعرات الدَّلاليَّة، والإدراكيَّة وغير ذلك.

إذًا يؤدي العنصر الحاسم دورًا شديد الأهميَّة في علم اللُّغة النَّفسيِّ خاصَّةً في تعلُّم اللُّغات الثَّواني.

هذه أهمُّ الفرضيَّات الَّتي أسهمت في بلورة رؤية واضحة عن اكتساب اللُّغة الثَّانية أو تعلُّمها ، والَّتي تختلف عن نظريَّات وفرضيَّات اكتساب اللُّغة الأمِّ. فهل هنالك خصائص مشتركة ؟ وهذا ما نتعرض له في البحث .

ثالثًا- هل يخضع تعلُّم اللُّغات الثَّواني لمراحل؟:

([1]) جلال شمس الدِّين، علم اللُّغة النَّفسيُّ ، مناهجه ونظريَّاته ج٢،ص:١١٨.

الإنتاج اللُّغويُّ لمتعلِّم اللُّغة الثَّانية على الرُّغْم ممَّا فيه من انحرافات، إلاَّ أنَّه لا يفتقر إلى النِّظام ، بل على العكس من ذلك فإنَّ هناك قدرًا كبيرًا من الشَّواهد الدَّالة على أنَّهم يشقُّون طريقهم عبر عدد من المراحل التَّطوريَّة . تبدأ بصور من اللُّغة الثَّانية منحرفة وبدائيَّة إلى أن تصل إلى صور من الاستخدام أكثر إتقانًا وقربًا من اللُّغة الهدف. ومثلما هو الحال لدى مستخدمي اللُّغة المهرة ، فإنَّ ما ينتجه المتعلمون من لغة لها كمالها الخاصُّ بها.

ولهذا الانتظام في الإنتاج اللُّغويِّ لمتعلمي اللُّغة الثَّانية، ما يماثله بالفعل لدى متعلمي اللُّغة الأولى في المراحل المبكِّرة. حيث يمرون بمراحل مشابهة وبقدر كبير من الانتظام؛ ولكنَّ هذا الانتظام غير مستقر وفي حالة تغيُّر دائم وتنوُّع .

هناك شواهد بدهيَّة دالَّة على قدرة المتعلمين، على استخدام معرفتهم اللُّغوية الدَّاخليَّة باللُّغة الثَّانية استخدامًا ابتكاريًّا، حتى في المراحل المبكرة جدًا. وقد أدَّت الدِّراسات في مجال اللُّغويات النَّصيَّة [1] إلى الاعتراف المتزايد، بأنَّ الصِّيغ الجاهزة والعبارات النَّمطيَّة، تلعب دورًا مهمًا في الاستخدامات اليوميَّة للُّغة من قبل النَّاطقين الأصليِّين. فعبارتنا اليوميَّة في اللُّغة الأمِّ هي خليط معقد من الابتكار والإعداد المسبق.

وبالنِّسبة لمتعلمي اللُّغة الثَّانية ؛ فإنَّ حفظ الأنماط اللُّغوية القصيرة يعدُّ أكثر

(1) نسبة إلى علم اللُّغة النَّص.

إمكانيَّة. [١] وخاصَّة لدى الَّذين يتعلمونها في الفصول بغرض الوفاء بالحاجات الاتَّصاليَّة في المراحل الأولى من التَّعلُّم.

المبحث الثَّالث

العوامل المؤثرة في تعلُّم لغة ثانية

١- العوامل الفرديَّة:

وهي العوامل الَّتي تخصُّ كلَّ فرد على حدة مثل: العمر، ومدَّة الإقامة في بلد اللُّغة الثَّانية ، والتَّوافق الاجتماعيِّ. فقد وُجِدَ من الدِّراسات أنَّ الطِّفل يكتسب اللُّغة الثَّانية في وطنه الثَّاني ولكنَّه متى ما عاد إلى وطنه الأوَّل ولغته الأولى؛ فسرعان ما يفقد هذه اللُّغة بسرعة أكبر من اكتسابها ، ويعاود استرجاع لغته الأولى بسرعة. وعلى النَّقيض من هذا فإنَّ اليافعين لا ينسون لغتهم الأولى حينما يكتسبون لغة ثانية. [٢]

وقد يتداخل عامل العمر مع التَّوافق الاجتماعيِّ ، وهنالك عدد من الدِّراسات التَّجريبيَّة في هذا الصَّدد. أمَّا طول مدَّة الإقامة - وبغضِّ النَّظر عن طول المدَّة - فإنَّ الفرد يمكنه أن يحصل على قدرات تواصليَّة بدون اكتساب الدِّقَّة الفونولوجيَّة أو النَّحويَّة الضَّروريَّة في الوقت ذاته.

([1]) محمَّد عليّ الخوليّ، الحياة مع لغتين،ص٨٠.

([2]) محمَّد عليّ الخوليّ، المدخل إلى علم اللُّغة، ص:٢٠٤-٢٠٦.

٢- العوامل المعرفيَّة:

أ- الذَّكاء: متعلِّمو اللُّغة الثَّانية الَّذين يزيدون عن المتوسط في قياسات الذَّكاء المنهجيَّة أو مدى الإنجاز الأكاديميِّ العامِّ، أفضل أداءً في تعلُّم اللُّغة الثَّانية، على الأقلِّ في محيط الفصل الدِّراسيِّ .

ب- الاستعداد الفطريُّ: يقيس الاختبار المسمي "باختبار الاستعداد الفطريِّ اللُّغويِّ" عددًا من المهارات الفرعيَّة الَّتي يعتقد بقدرتها على التَّنبُّؤ بالنَّجاح في تعلُّم اللُّغة الثَّانية؛ وهي: القدرة على التَّرميز الصَّوتيِّ، القدرة على التَّعلُّم الاستقرائيِّ، القدرة على التَّذكر، القدرة على الحساسيَّة النَّحويَّة. وقد ظهر بشكل عامٍّ أنَّ درجة المتعلِّم في هذا الاختبار، ترتبط بالفعل مع الإنجاز في اللُّغة الثَّانية. [١]

٣- العوامل الوجدانيَّة (الموقف من اللُّغة – الدَّافعيَّة – القلق اللُّغويُّ):

أ- الموقف: أكثر الأبحاث المتعلِّقة بمواقف المتعلِّم، أثناء تعلُّم اللُّغة الثَّانية تسهم في مجملها في تفسير النَّجاح في تعلُّم اللُّغة من عدمه. وتتمثل المواقف في: حبِّ المتعلِّم (لغة ثانية) لأنَّه يحبُّ أهلها، وقد يكرهها لأنَّه يكره أهلها؛ لأسباب سياسيَّة أو تأريخيَّة أو غيرهما [٢]

ب- الدَّافعيَّة : تصوُّر مركَّب يُعْرف من خلال ثلاثة مكونات رئيسة ؛هي: الرَّغبة في تحقيق هدف، وجهد مبذول، وارتياح للمهمَّة. وقد وجد أنَّ هنالك علاقة

([1]) روز موند ميشيل وفلورنس مايلز، نظريَّات تعلُّم اللُّغة الثَّانية ، ترجمة عيسى بن عودة ، ص:٢٢.

([2])محمَّد عليّ الخوليّ، المدخل إلى علم اللُّغة، ص:٢٠٦.

مطَّردة بين الموقف من اللُّغة والدَّافعيَّة والإنجاز في تعلُّم اللُّغة الثَّانية. [١]

ج- القلق اللُّغويُّ: يتجلَّى القلق في التَّقليل من شأن الذَّات، وفي مشاعر الرَّهبة، بل حتى في الاستجابات البدنيَّة مثل تسارع ضربات القلب. وعليه فإنَّ المتعلِّم القلِق أقلُّ استعدادًا للمشاركة الفعليَّة أو للتَّفاعل مع النَّاطقين الأصليِّين. وقد أشار "غاردنر وماكنتاير" إلى دراسات ترى أنَّ القلق يؤثِّر سلبًا على نجاح التَّعلُّم، وهناك دراسات أخرى تشير إلى عكس ذلك بالنِّسبة للثِّقة بالنَّفس والأمان أو الطُّمأنينة.

٤- المؤثرات عبر اللُّغة :

أداء المتعلِّمين في اللُّغة الثَّانية يتأثَّر باللُّغة أو اللُّغات الَّتي عرفوها من قبل. ويتَّضح هذا من خلال اللَّكنة الأجنبيَّة للمتعلِّم، وغالبًا ما يشار إلى هذا النَّوع من الظَّواهر بمصطلح "النَّقل اللُّغويِّ Language transfer". لقد تباينت الآراء: فالسُّلوكيُّون يعدُّون النَّقل اللُّغويَّ أهمَّ مصدر للخطأ والتَّدخل في تعلُّم اللُّغة الثَّانية؛ لأنَّ عادات اللُّغة الأولى تعدُّ مستعصية ومتجذِّرة بعمق . وينظر النَّحو الكلِّيُّ بطريقة مختلفة نوعًا ما، فإذا كان متعلِّمو اللُّغة الثَّانية على اتِّصال مباشر مستمرٍّ بنحوهم الكلِّيِّ العميق؛ فإنَّ تأثير اللُّغة الأولى سيصيب فقط المواطن الأقلَّ أثرًا في اللُّغة الثَّانية. [٢]

([1])محمَّد عليّ الخوليّ، الحياة مع لغتين(الثُّنائيَّة اللُّغوية)،ص٨٢.

([2]) روز موند ميشيل ، نظريَّة تعلُّم اللُّغة الثَّانية ، ص٢٤/٢٣ .

أمَّا إذا كان وصول المتعلِّمين إلى النَّحو الكلِّيِّ يتمُّ فقط بطريق غير مباشر من خلال المثال الحيِّ للُّغة الطَّبعيَّة الَّذي تطرحه اللُّغة الأولى؛ فإنَّ تأثير اللُّغة الأولى حينئذٍ سيكون في الصَّميم من تعلِّم اللُّغة الثَّانية. [١]

٥- التَّوافق والتَّماسك العاطفيُّ:

وذلك بأن يحاول ابن اللُّغة الأولى، أن يتعاطف مع متعلِّم اللُّغة الثَّانية، ويتوافق معه إلى درجة أن يتبنَّى لغته مع ما فيها من قصور. [٢]

٦- التَّفاعل الاجتماعيُّ والتَّواصل:

التَّفاعل الاجتماعيُّ يوجد عندما يوجد موقف ما ويمهِّد للتَّواصل ، مثل: الزِّيارات والرِّحلات، وأداء الأعمال المشتركة إلخ . ويمثِّل التَّواصل عاملاً مهمًا فعن طريقه يتمُّ تبادل التَّراكيب والمفردات داخل الأنماط التَّنغيميَّة وداخل ثقافة المجتمع. [٣]

٧- القابليَّة لتعلِّم لغة ثانية:

ويتمثَّل في الاستعداد الشَّخصيِّ، فإذا أُتيح للمتعلِّم أن يستخدم لغة ثانية ويشترك في المحادثة ؛ فإنَّه يتعلَّم على نحوٍ أفضلٍ وأسرعٍ، مقارنة بوضعٍ تقلُّ فيه المشاركة.

العوامل المذكورة عُرِضتْ مجملة. [٤]

([1])روز موند ميشيل، نظريَّات تعلُّم اللُّغة الثَّانية، ترجمة عيسي بن عودة ص٢٣.

([2])جلال شمس الدِّين، علم اللُّغة النَّفسيُّ،ج١،ص:٢١٩.

([3])المصدر نفسه ص:٢٢٠.

([4]) ولمزيد من التَّفصيل، انظر: المدخل إلى علم اللُّغة، للدِّكتور محمَّد عليّ الخوليّ،ص:٢٠٤-٢٠٨.

المبحث الرَّابع
الفرق بين اكتساب لغة الأمِّ واللُّغة الثَّانية

عرض الباحث في المبحثين السَّابقين العوامل المؤثرة في اكتساب اللُّغة الأمِّ "الأولى" واللُّغة الثَّانية. وفي هذا المبحث يعرض الفروق بينهما، وفيه تبدو صور العلاقة بينهما. وسيعرض في المبحث الَّذي يليه الخصائص المشتركة لعلَّها تُبَلْوِر العلاقة بطريقة تبدو فيها أوضح وأشمل . وأهمُّ هذه الفروق هي :

١- الدَّافعيَّة:عند اكتساب لغة الأمِّ (الأولى) تكون دافعيَّة الطِّفل في قمتها ، ولكن عند تعلُّم لغة ثانية فيما بعد، لا تتوافر مثل هذه الدَّافعيَّة بالدَّرجة نفسها. ويرجع ذلك لاختلاف التَّعلُّم، سواء كان عند الطِّفل نفسه أو عند البالغين. [1]

٢- البيئة اللُّغويَّة: مع لغة الأمِّ تكون البيئة اللُّغويَّة مثاليَّة، إذ هي طبعيَّة واقعيَّة. ولكن مع اللُّغة الثَّانية لا تكون كذلك؛ بل هي اصطناعيَّة في غرفة الصَّفِّ [2] . ومن الممكن أن يتمَّ تعلُّم اللُّغة الثَّانية في بيئتها الطَّبعيَّة ؛ ونستنتج من ذلك أنَّ البيئة الطَّبعيَّة توفِّر ظروفًا للتَّعلُّم أفضل من البيئة الاصطناعيَّة .

٣- المران: مع لغة الأمِّ يتمرَّن الطِّفل على اللُّغة ساعات طويلة يوميًّا، ولكن مع اللُّغة الثَّانية لا تتاح له سوى بضع دقائق في الفصل.

٤- معدّل الاستخدام: مع لغة الأمِّ يتعرَّض الطِّفل للُّغة ساعات طويلة يوميًّا؛ ممَّا

([1]) محمَّد عليّ الخوليّ، الحياة ، مع لغتين ، ص:٨٥.

([2]) محمَّد عليّ الخوليّ، المدخل إلى علم اللُّغة ،ص:٢٠٦.

يشجِّعه ويعينه على الاستخدام اللُّغويِّ، والتَّواصل بها. ولكن مع اللُّغة الثَّانية لا تتوافر ساعات كافية فيقلُّ استخدام اللُّغة.

٥- الاسترخاء: مع لغة الأمِّ يكون الطِّفل في أفضل حالات الرَّاحة النَّفسيَّة؛ ولكن في حالة اللُّغة الثَّانية لا تتوافر الدَّرجة ذاتها، فهناك ضغط المعلِّم والأقران والمنافسة. [1]

٦- العمر: يتعلم الطِّفل لغة الأمِّ وهو في سنواته الأولى، حيث يكون العمر مواتيًا تمامًا لتعلُّم اللُّغة. أمَّا اللُّغة الثَّانية فيتعلَّمها المرء عادة في سنوات متأخِّرة. وفي هذه الحالة تكون للبالغ مزايا تجعله في وضع أفضل من الطِّفل في تعلُّم لغة ثانية؛ وذلك نظرًا للآتي :

أ- لدى البالغ خبرة أطول وأوسع في الاستقراء والاستنتاج والتَّحليل؛ ممَّا يجعله أسرع في اكتساب قواعد اللُّغة الثَّانية.

ب- لدى البالغ خبرة معرفيَّة حيويَّة أوسع من الطِّفل؛ ممَّا يجعله أقدر على الاستيعاب.

ج- لدى البالغ ذاكرة أقوى وأكثر تحملاً لكلمات اللُّغة الجديدة في الجِلْسَة الواحدة، في الوقت الَّذي لا تتحمل ذاكرة الطِّفل بضع كلمات جديدة في الجلسة الواحدة.

٧- دلَّتْ البحوث على أنَّ الطِّفل يمتاز عن البالغ في مدى إتقان نطق اللُّغة الثَّانية دون تدخُّل من لغة الأمِّ، وذلك قبل بلوغه سنَّ الخامسة عشرة غالبًا. أمَّا بعد هذه السِّنِّ فلا يمكنه اكتساب نطق خالص للُّغة الثَّانية غالبًا. وفيما يتعلَّق باكتسابه نحو

([1]) المصدر نفسه،ص٢٠٧. – موفق الحمدانيّ ،علم نفس اللُّغة، دار المسيرة للنَّشر والتَّوزيع،ط١، ٢٠٠٤م ،ص:١٨٨-١٩٢.

لغة ثانية؛ فإنَّ البالغين قد يكونون أسرع من الأطفال غالبًا؛ لما لديهم من قدرة أكبر على التَّحليل والتَّجريد والاستنتاج والاستقراء.

٨- التَّدخُّل: ويقصد به تأثير اللُّغة الأولى على اللُّغة الثَّانية فعند تعلُّم لغة الأمِّ لا توجد لغة أخرى تنافسها، ولكن عند تعلُّم لغة ثانية تكون اللُّغة الأولى قد تمكَّنَتْ من عقل المتعلِّم؛ ممَّا يجعلها تتدخل في اللُّغة الثَّانية ، وتعوق تعلُّمها أحيانًا.

٩- المشاعر: عند تعلُّم لغة الأمِّ لا توجد لدى الطِّفل مشاعر معادية نحو اللُّغة الأولى،فهي لغة والديه وأهله وأصدقائه عادة ولكن عند تعلُّم لغة ثانية هنالك احتمالات بأن يترافق ذلك مع مشاعر معادية لأهل اللُّغة الثَّانية، بسبب مواقف سياسيَّة أو تأريخيَّة ممَّا يعيق تعلُّمها. [1]

وهكذا تتجلّى لنا صورة من صور العلاقة بين لغة الأمِّ ، واللُّغة الثَّانية، من خلال المقارنة فنرى أنَّ لغة الأمِّ أفضل وضعًا من اللُّغة الثَّانية فيما يتعلق بتسهيل الاكتساب وسرعته ومدى إتقانه. وفرص المران مع لغة الأمِّ أوفر، وكميَّة التَّعرُّض والاستخدام أكثر، والتَّعزيز مع لغة الأمِّ أسرع ، والاسترخاء أفضل، والقلق أقلُّ، والتَّدخُّل معدوم عادة ، والمشاعر أكثر إيجابيَّة. وأمَّا العمر فإنَّه أنسب مع طفل يتعلَّم لغة أمِّه،ولغة أخرى في طفولته . ولكن في حالة الفرد البالغ يكون تعلُّم لغة ثانية أفضل من تعلُّم الطِّفل لغة ثانية ، هذا في الغالب . ويمكن أن يتعلَّم الطِّفل لغة ثانية ويتقنها بطريقة أفضل من البالغ ؛ خاصَّة إذا توافرت له بيئة طبعيَّة .

([1])المصدر نفسه ،ص:٢٠٧

المبحث الخامس
الخصائص المشتركة لاكتساب اللُّغة الأولى والثَّانية

أوضح الباحث في بداية البحث مفهوم كلٍّ من: التَّعلُّم ، والاكتساب. وبيَّن الفرق بينهما، ومن ثمَّ تناول النَّظريات الَّتي تفسِّر عمليَّتي التَّعلُّم، والاكتساب. وضح من خلالها أنَّ الاكتساب (Acquisition) يكون للُّغتين (الأولى والثَّانية)، إذا تعلَّمها الطِّفل في فترة الطُّفولة وحتى سنِّ الحادية عشرة أمَّا التَّعلُّم (Learning) فيكون للُّغة الثَّانية بعد هذه السِّنِّ .

ولكن شاع إطلاق "اكتساب" على العمليَّة الَّتي تجعل الفرد يتكلَّم لغة ثانية بطلاقة، وإنْ لم يكتسبها في طفولته. وبالمقابل يطلق لفظ"التَّعلُّم" على العمليَّة الَّتي من خلالها يكتسب الطِّفل اللُّغة؛ فهو تعلَّم لغة أمِّه وإن كانت بطريقة لا شعوريَّة، فلا مشاحة في الاصطلاح. والواقع أنَّ هنالك كثيرًا من الدَّلائل الَّتي تشير إلى وجود خصائص مشتركة بين اكتساب لغة الأمِّ واللُّغة الثَّانية، غير أنَّه يحدث أحيانًا تباين بينهما، نورده فيما يلي:

١- جذب الانتباه:

الخطوة الأولى الَّتي ينبغي على الطِّفل أن يقوم بها في المحادثة هي أن يحصل على انتباه الشَّخص الَّذي يرغب في التَّحدُّث معه. وهذا يمكن إنجازه بطرق غير لغويَّة، أو من خلال إشارات لغويَّة(ماما- ماما) إلى أن يحصل على الاستجابة

وهذه أيضًا تحدث في تعلُّم اللُّغة الثَّانية. [١]

٢- التَّوافق العاطفيُّ:

وذلك بأن يحاول البالغ أن يتوافق في لغته مع لغة الطِّفل، أو مع متعلِّم اللُّغة الثَّانية؛ ويحدث ذلك عادة من خلال التَّماسك العاطفيِّ (adjustment-affective bond) .وأنَّ المتحدِّث ابن اللُّغة قد يكون هو الَّذي يقوم بكلِّ التَّعلُّم ، من أجل أن يوجد التَّماسك العاطفيُّ ولقد "قرَّر فيرقسون Fergason": في كلٍّ من كلام الطِّفل وكلام الأجانب، فإنَّ استجابات الشَّخص المخاطب تؤثِّر على المتكلِّم ، ويمكن للتَّفاعل اللَّفظيِّ أن يوجد بعض التَّعديلات للصِّيغة الرَّسميَّة لكلا الجانبين. [٢]

٣- التَّعديلات الصَّوتيَّة والنَّظميَّة:

من خصائص الكلام الموجه للأطفال أبناء اللُّغة الأولى ، وكذلك لمتعلِّمي اللُّغة الثَّانية، تلك التَّعديلات الصَّوتيَّة الَّتي تحدث لهذا الكلام. ولقد أثبتت الدِّراسات أنَّ تعديلات النُّطق للأجانب كانت عالية نحويًّا وبسيطة نظميًّا. أمَّا طول الجملة فقد تبيَّن بشدَّة أنَّ المتحدِّثين قد أخذوا في حسابهم القدرة اللُّغوية للمستمع.

٤- نظام اكتساب المورفيمات:

نتيجة لعدد غير يسير من الدِّراسات والبحوث ، قادت الدَّارسين إلى أن

([1]) جلال شمس الدِّين، علم اللُّغة النَّفسيُّ، مناهجه وقضاياه ج٢ ،ص:٢٣١.

([2]) موفق الحمدانيّ، علم نفس اللُّغة من منظور معرفيٍّ ، ط٥ ،دار المسيرة، ص:٢٠٦-٢١٠.

يفترضوا: أنَّه بصرف النَّظر عن العمر أو اللُّغة الأولى ؛ فإنَّ متعلِّمي اللُّغة الثَّانية يكتسبون مورفيمات اللُّغة في نظام طبعيٍّ.

٥- اكتساب اللُّغة بالاستجزال:

الجزلة: وحدة "تَذَكُّر" ، أي وحدة مطلوب تذكُّرها أيًّا كانت مكوِّنات هذه الوحدة. فالاستجزال هو إدراك هذه الجُزَل ككتل متماسكة مهما كانت مكوَّنة من جزئيَّات، وذلك بفضل العلاقات الَّتي بين الجزئيَّات دون إدراك منَّا لهذه العلاقات.[١]

يفترض بعض (النفسلغويين) أنَّنا نكتسب الكلام سواء في اللُّغة الأمِّ (الأولى) أم الثَّانية ؛ إمَّا كلمة كلمة على أن تربط القواعد بين هذه الكلمات، وإمَّا أن تكتسب على هيئة جُزَل. هذا المفهوم يقترب من مفهوم البنية (Structure) عند البنيويِّين الفلاسفة.

أمَّا عن طول الجزلة وحدودها فإنَّ الذَّاكرة هي الَّتي تحدِّد هذا الطُّول وتضع الحدود، فكلُّ جزلة يمكن أن تحتوي على كميَّة من المعلومات، وهي الفكرة نفسها عند (كلارك وكلارك) في تحديد إطارات الجملة.

ففي تعلُّم اللُّغة الثَّانية هنالك بعض النُّطق يفترض تعلُّمه بالاستجزال، وبعضها الآخر يفترض فيه التَّعلُّم بالتَّحليل إلى مكوِّناتها وإيجاد العلاقة بين هذه المكوِّنات. أمَّا في نطق اللُّغة الأولى فإنَّها تُتَعلَّم بالاستجزال طالما أنَّنا لا نحلِّل لأبنائنا هذا النُّطق. [٢]

([1])موفق الحمدانيّ،علم نفس اللُّغة من منظور معرفيٍّ ، ص:٢١٠-٢١٢.

([2]) المصدر السَّابق، ص:١٤٦.

المبحث السَّادس

التَّأثير والتَّأثر بين لغة الأمِّ واللُّغة المكتسبة

أولاً- تفاعل اللُّغات:

يمكن التَّعبير عن التَّأثير والتَّأثر بين اللُّغات بالتَّفاعل اللُّغويِّ. وعندما تتفاعل لغتان لدى شخص واحد، تتداخل اللُّغتان فتؤثِّر إحداهما على الأخرى. وقد تكون لغة ما أكثر استعدادًا للتَّأثير. [1]

تأثير اللُّغة الأولى:

عند تعلم لغة ثانية، يأتي المتعلِّم ومعه لغة أولى (لغة الأمِّ) ومعه عادات لغويَّة في الجوانب : الصَّوتيَّة والصَّرفيَّة والمفرديَّة والنَّحويَّة والدَّلالية والثَّقافيَّة . فتؤثِّر اللُّغة الأولى في تعلُّم اللُّغة الثَّانية تأثيرًا يختلف من حالة إلى أُخرى. وكلَّما زاد التَّشابه بين اللُّغتين ، زاد الانتقال الإيجابيُّ وقلَّ الانتقال السَّلبيُّ، أي زاد الأداء الصَّحيح وأسرع اكتساب اللُّغة الثَّانية. وإذا زاد الاختلاف بين اللُّغتين، زاد الانتقال السَّلبيُّ وقلَّ الانتقال الإيجابيُّ ، وزادت إعاقة تعلُّم اللُّغة الثَّانية؛ وزادت الأخطاء وطال أمد اكتسابها.

وهناك دراسات دلَّت على أنَّ إتقان الفرد للُّغته الأولى (لغة الأمِّ) يسهِّل عليه تعلَّم لغة ثانية؛ لأنَّه يكتسب خبرة في تعلُّم اللُّغة. ولقد تبيَّن أنَّ الأطفال الَّذين يتعلَّمون لغة ثانية قبل إتقان لغة الأمِّ ، يعانون مع اللُّغتين على حدٍّ سواء ويضعفون

([1]) محمَّد عليّ الخوليّ، المدخل إلى علم اللُّغة،ص:١٧٣.

في اللُّغتين معًا. [١]

ثانيًا- التَّحول اللُّغويُّ:

وهنالك صورة أُخرى من صور التَّأثير والتَّأثر ألا وهي التَّحول اللُّغويُّ . بعد أن يختار المتكلِّم لغة ليتحدَّث بها من بين اللُّغات الَّتي يعرفها ، قد يحدث تحولٌ لغويٌّ ، أي يتحوَّل المتكلِّم إلى لغة أخرى غير الَّتي بدأ بها محادثته ، ثمَّ يعود إلى اللُّغة الَّتي بدأ بها.

وللتَّحولُ أسباب منها: إبراز المهارة اللُّغويَّة ، والحاجة إلى التَّعبير، واقتباس كلمة أو عبارة من لغة إلى أخرى ثمَّ العود إلى لغة البداية. ومنه تحديد المخاطب سواء أكان فردًا أم جماعة للتَّأثير فيهم. ومنه تحديد الانتماء، فقد يتحوَّل المتكلِّم إلى لغة أخرى ليلفت الانتباه إلى العلاقة الخاصَّة بينهما. ومنه تغيُّر نغمة التَّخاطب ، فقد تعني لغة ما المرح والفكاهة، فيتحوَّل إليها، وقد تعني لغة أخرى الجديَّة. ومنه أيضًا السِّريَّة فيتحوَّل شخص من لغة إلى أخرى أثناء حديثه مع شخصٌ آخر في وجود شخص ثالث، وذلك بغرض المحافظة على السِّريَّة. هذا وقد يكون التَّحولُ من لهجة إلى أخرى، كما هو الشَّأن في التَّحولُ اللُّغويِّ[٢].

([1]) المصدر السَّابق،ص:٨٢. ومحمَّد علي الخولي، الحياة مع لغتين ، ص: ٢٠٢-٢٠٤.

([2]) يوسف الخليفة أبو بكر، مشكلات التَّعليم بالعربيَّة في المناطق الثُّنائيَّة اللُّغة، ورقة بحثيَّة ضمن أبحاث ندوة المنظَّمة العربيَّة للتَّربية والثَّقافة والعلوم :٢٠٠٢م الرباط . المملكة المغربيَّة،ص:٣٨٤،٣٨٣.

الخاتمـــــة

أولاً- أهمُّ النَّتائج:

١/ اللُّغة الأمُّ ، أي اللُّغة الأولى ، تكتسب. أمَّا اللُّغة الثَّانية فيمكن اكتسابها ، أو تعلُّمها.

٢/ الكفاية اللُّغوية لدى فرد ثنائيِّ اللُّغة، تتوقف على الظُّروف الَّتي يتمُّ فيها اكتسابها.

٣/ للُّغة الثَّانية عوامل للتَّعلُّم مختلفة، ومراحل مختلفة عن لغة الأمِّ.

٤/ للُّغة الأمِّ تأثير كبير على اللُّغة الثَّانية.

٥/ العلاقة بين لغة الأمِّ واللُّغة الثَّانية تجلَّتْ في عدَّة صور:

أ- العوامل المشتركة لظروف التَّعلُّم وعوامله.

ب- الخصائص المشتركة بينهما.

ج- التَّداخل بينهما :على مستوى الأصوات ، والمفردات ، والنَّحو، والدَّلالة.

ثانيًا- التَّوصـيات:

١/ الاهتمام بتعليم غير النَّاطقين باللُّغة العربيَّة من أبناء المسلمين منذ صغرهم .

٢/ إقامة دورات تدريبيَّة، لتأهيل معلمين في مجال تعليم اللُّغة العربيَّة للنَّاطقين بغيرها.